الغوطة

- ٣ -

أدب الغوطة

أُعجب العرب بالغوطة منذ كانوا يرتحلون اليها في الجاهلية فردد شعراؤهم اسمها وفي مقدمتهم حسان بن ثابت شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام ، وما زالت الغوطة في الاسلام يتغنى بها الشعراء ، ويعجب بها أهلها والقاصدون اليها حتى قال أبو بكر الخوارَزْمي :ان جنان الارض اربع :صُغد سمرقند ، ونهر الأُبلة ، وشِعب بوّان ، وغوطة دمشق . قال انه زارها كلها فكان في رأيه فضل غوطة دمشق على الثلاث كفضل الاربع على غيرهن ، وقال : كأنها الجنة وقد زخرفت وصُوّرت على وجه الأرض . وبالطبع لم يكن يومئذ ذكر لحدائق بلاد الغرب الآخذة بمجامع القلوب لجمعها بين الجمال الطبيعي والصناعي

يتألف من مجموع ما ورد على ألسن الشعراء في وصف الغوطة ديوان لطيف ، ومنه ما كان من الشعر الجيد لأنه صدر عن شعراء مشهورين ، وأدب الغوطة يجمع بين خصائص كثيرة منها الوصف والعاطفة والتاريخ ، وأرض كلها شعر لايستغرب فيها أن توحي الشعر للشعراء ويتغنوا بما خصها به الفاطر من البدائع ويخلدوها مجمعين على محاسنها .

ولا بأس ان نقتطف بعض باقات من تلك الازهار ونذكر بما طاب من جماع تلك الاشعار ، نقدمها متعة للنفس ، وذكرى لما في بطن الغوطة من خيرات .

أطلق البحتري على الغوطة اسم صحراء دمشق في قصيدته التي مدح بها المتوكل العباسي لما نقل دواوين الملك الى عاصمة الشام وهي التي يقول في مطلعها:

العيش في ليل داريا اذا بردا والراح نمزجها بالماء من بردى .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الى ان قال :

أما دمشق فقد ابدت محاسنها ... وقد وفى لك مطريها بما وعدا
اذا اردت ملأت العين من بلد ... مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمسي السحاب على أجبالها فرقاً ... ويصبح النبت في صحرائها بددا
فلست تبصر الا واكفاً خضلاً ... أو يانعاً خضراً او طائراً غردا
كأنما القيظ ولّى بعد جيئته ... أو الربيع دنا من بعد ما بعدا

وقال الصنوبري :

امرُّ (بدير مران) فأحيا ... واجعل بيت لهوي (بيت لهيا)
وتبرد غلتي بردى فسقياً ... لأيامي على بردى ورعيا
تفيض جداول البلور فيها ... خلال حدائق ينبتن وشيا
فمن تفاحة لم تعدُ خداً ... ومن رمانة لم تخط ثديا
ونعم الدار داريا ففيها ... حلالي العيش حتى صار أريا
ولي في باب جيرون ظباء ... أُعاطيها الهوى ظبياً فظبيا
هي الدنيا دمشق لساكنيها ... فلست أريد غير دمشق دنيا

قال ابن منير الطرابلسي من أهل القرن السادس

حيّ الديار على علياء جيرون [1] ... مهوى الهوى ومغاني الخرّد العينِ
مَرَاد لهوي اذ كفى مصرّفة ... أعنة العيش في فيح الميادين
(فالنيربين)(فمقرى)(فالسرير)(فجم ... رايا) فجو حواشي جسر (جسرين)
(فالقصر) (فالمرج) (فالميدان) (فالثـ ... ـرف الاعلى)(فسطرا)(فجرمانا)(فقلبين)
(فالماطرون) (فداريا) فجارتها ... (فآبل) فمغاني (دير قانون)

(١) جيرون سقيفة مستطيلة على عمد وسقايف وحولها المدينة تطيف بها — قاله في المعجم . وفيه أن جيرون حصن قال : والمعروف اليوم أن باباً من أبواب الجامع بدمشق وهو بابه الشرقي يقال له باب جيرون وفيه فوارة ينزل عليها بدرج كبيرة في حوض من رخام وقبة خشب يملو ماؤها نحو الرمح ، وقال قوم : جيرون هي دمشق نفسها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تلك المنازل لا (وادي الأراك)ولا (رمل المصلى) ولا اثلات(يبرين[١])
واهاً لطيب غديات الربيع بها وبرد أنفاس آصال التشارين
ويطيبني[٢] لدار الروم ما شهرت (بدير مران) أعياد الشعانين
أبدت دمشق ربيعاً جلّ صانعه يأتيك في كل حين غير ممنون

والماطرون موضع قرب دمشق عدّ من بدائعها ونسب ليزيد بن معاوية قوله :

ولها بالماطرون اذا اكل النمل الذي جمعا
خُرْفة[٣] حتى اذا ربعت ذكرت من جلق بيعا
في قباب حول دسكرة بينها الزيتون قد ينعا

ويستبعد ان يقول أمير المؤمنين يزيد هذا فانهم وضعوا عليه أشياء لم يفعلها ، ومنها بيتان قيل انه قالها لما أصاب المسلمين سبأ بأرض الروم وهما :

وما أُبالي بما لاقت جموعهم بالخذقونة من حمى ومن موم
اذا اتكأت على الأنماط مرتفقاً بدير مران عندي ام كلثوم[٤]

وقال العماد الكاتب كاتب صلاح الدين يوسف بن أيوب :

اهدى النسيم لنا ريا الرياحين أم طيب أخلاق جيراني بجيرون
هبت تنبه أطرابي وتبعثها مني وتوجب للتهويم تهويني
وما درينا أ (داريا) لنا أرجت أم دار في دارنا عطار (دارين[٥])
ورب همّ فقدناه (بربوتها) ورب قلب أضعناه (بقلبين)
لولا جسارة قلبي ما ثبت على ال عبور من طرب في جسر (جسرين)

(١) وادي الاراك قرب مكة يتصل بغيقة والمصلى موضع بعينه في تحقيق المدينة، ويبرين من أصقاع البحرين وهناك الرمل الموصوف بالكثرة بينه وبين الفلج ثلاث مراحل وبينه وبين الاحساء وهجر مرحلتان وهو فيما بينهما (ياقوت) (٢) في القاموس : طَيَّبْته عنه صرفته وإليه دعوته كأطيبته (٣) الخرفة بالضم المخترف والمجتنى كالخرافة (٤) الموم البرسام وأم كلثوم امرأته والخذقونة أو الغذقدونة بلد في الروم وهو الثغر الذي فيه المصيصة وطرسوس وأذنة وعين زربة
(٥) دارين فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند (ياقوت)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يصبيك(ميطورها)طوراً(ونيربها) طوراً ويوليك احساناً (بتحسين [1])
نعيمها غير ممنوع لساكنهـا كالخلد والمن فيها غير ممنون
أهوى مقري(بمقرى) والرياض بها للزهر ما بين تفويف وتزبين
هاجت بلابل قلبي المستهام بهـا بلابلُ الأيك غنتنـا بتلحين
تتلو (بسطرا) أساطير الغرام على صوامع الدوح وُرق كالرهابين
قمريها مقريء يشدو بنغمتـه آياً يعلمهـا من غير تلحين

وختمها بقوله :

حرستما في (حرستا) العيش من شظف دوما (بدوما) على حفظ القوانين

ولابن منقذ الكناني في وصف دمشق حاضرة الغوطة الكبرى وما اليها قصيدة مطولة جمع بها كل المحاسن ومما قال فيها :

وإذا مررت على المنازل معرضاً عنها قضى لك حسنها ان تقبلا
ان كنت لا تستطيع ان تتمثل الـ فردوس فانظرها تكن متمثلا
واذا عنان اللحظ اطلقه الفتى لم يلق الا جنـة او جدولا
او روضـة او غيضـة او قبـة او بركة او ربوة او هيكلا
او وادياً او نادياً او ملعبـا او مذنباً او مجدلا او موئلا
او شارعاً يزهو بربع قد غدا فيـه الرخام مجزّعاً ومفصلا
وفواكه متخالف أصنافهـا ممـا يشوقك مطعماً وتأملا
مصفر تفاح بدا في أحمر يحكي المحب أتى الحبيب مقبلا
والورد مثل الخد يعلوه من الـ ريحان صدغ شعره قد رجلا
وبنفسج كنفاضـة من اثمدٍ تبديه أجفان البكاء تذللا
وتخال نورَ الباقلاء اذا بدا للواحظ الأبصار طرفاً احولا

(١) لم نعرف قرية أو متنزهاً بهذا الاسم.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نشرت مطارفه وجاءك نشرها فحسبتها وشيا تأرج مندلا
ويهزّ مرّ نسيمها أشجارها فتخال غادات تشكت إفكلا (١)
وعلت غصون خلافه محمرةً وهفت بها ريح فضاهت مشعلا
واذا البلابل اسمعت ترجيعها السالي تراجع وَجده متبلبلا
ومتى هوى وَرق الغصون وجدته ذهباً وكان زمرداً لما علا
وكأن واديها قراب اخضر يستل من بردى حساماً منصلا (٢)

وقال ابن عُنين وهو بالهند يتشوق الى دمشق وغوطتها

حنين الى الأوطان ليس يزول وقلب عن الأشواق ليس يحول

الى أن قال :

كأن الثريا غرّة وهواءهم له من وميض الشعريين حجول
ألا ليت شعري هل ابيتن ليلة وظلك (يا مقرى) عليّ ظليل
وهل أريني بعد ماشطت النوى ولي في ذرى روض هناك مقيل
دمشق فلي شوق اليها مبرح وإن لجّ واش او ألح عذول
بلاد بها الحصباء در وتربها عبير وانفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق وصح نسيم الروض وهو عليل
فياحبذاالروض الذي دون(عزتا) سحيراً اذا هبت عليه قبول
ويا حبذا الوادي اذا ما تدفقت جداول (باناس) اليه تسيل
وفي كبدي من(قاسيون)حرارة تزول رواسيه وليس تزول
اذالاح برق من(سنير)تدافعت بسحب جفوني في الخدود سيول
فلله أيامي وغصن الصبا بها وريق واذ وجه الزمان صقيل

وعزتا او عزة قرية من نواحي وادي بردى ربما كانت قرب الفيجة ، وقد

(١) الرعدة من الخوف أو البرد (٢) حسام منصل مخرج من قرابه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أكثر الشاعر من ذكرها في ديوانه ، ويقول ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار: ان عين الفيجة تخرج من مكان تحت حصن عزتا فلعلها هي التي يتغزل بها الشاعر.

وقال : في روضة (بالنيربين) أريضة رضعت أفاويق السحائب حُفَّلا
أنى اتجهت رأيت ماءً سابحاً متدفقاً او يانعاً متهدلا
وكأنما أطيارها وغصونها نغم القيان على عرائس تجتلى
وكأنما الجوزاء ألقت زهرها فيها وأرسلت المجرة جدولا
ونير معتل النسيم بروضها فتخال عطاراً يحرق مندلا

وقال فتيان الشاغوري يصف أصول أنهار دمشق ويستفتح ببردى ، وهو من أهل القرن السابع :

كأن طيور الماء فيه عرائس حُجلين على شاطيه خضر الغلائل
اذا كرعت فيه تيقنت أنها تزق فراخاً وهي زغب الحواصل
وكم سمك فيه عليه جواشن من التبر صيغت وهو بادي المقاتل
جريح بأطراف الحصا فخريره أنين له من جس تلك الجنادل
اذا قابل النهر الدجى بنجومه أرانا بقعر الماء ضوء المشاعل
تغلغل في الوادي فوافى كقينة منعمة حسناء ليست بعاطل
فعانقها حتى انثنت مشعلة تقل على ظهر الصفا بطن حامل

قال ياقوت وكان حسان بن نمير المعروف بعرقلة الدمشقي يذكر (جلق) ويصف كثيراً من نواحيها ، وجلق كحمص بكسرتين مشددة اللام وكقنب دمشق او غوطتها .

ومن أجمل ما ورد فيه اسم جلق من الشعر القديم ابيات لأبي فراس طراد بن علي السلمي الدمشقي المتوفى سنة اربع وعشرين وخمسمائة وهي :

يا نسيماً هبَّ مسكاً عبقاً هذه أنفاس رَيَا [1] جلقا

(١) الريا الريح الطيبة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كفَّ عني والهوى ما زادني برد أنفاسك الا حُرَقا
ليت شعري نقضت أحبابنا يا حبيب النفس ذاك الموثقا
يا رياح الشوق سوقي نحوهم عارضاً من سحب عيني غَدِقا
وانثري عقد دموع طالما كان منظوماً بأيام اللقا

ذكر الصلاح الكتبي ان هذه الابيات اشتهرت وغنى بها المغنون، وروي عن بعضهم انه مرَّ يوماً ببعض شوارع القاهرة وقد ظهرت جمال كثيرة حُمولتها تفاح فتحي من الشام فعبقت روائح تلك الحمول فأكثر التلفت لها، وكانت امامه امرأة، ففطنت لما داخله من الاعجاب بتلك الرائحة فأومأت اليه وقالت: هذه أنفاس ريا جلقا.

ومن قصيدة وازن بها عرقلة قصيدة أبي نواس (أجارة بيتينا أبوك غيور) مدح بها صلاح الدين يوسف بن أيوب وقصده بها الى مصر كما فعل أبو نواس في قصيدة الخصيب جاء فيها.

عسى من ديار الظاعنين بشير ومن جور أيام الفراق مجيرُ
لقد عيل صبري بعدهم وتكاثرت همومي ولكن المحب صبور
وكم بين اكناف (الثغور) متيم كئيب غزته أعين وثغور
وكم ليلة (بالماطرون) قطعتها ويوم الى (الميطور) وهو مَطير
سقى الله من (سطرا) و(مقرا) منازلاً بها للندامى نضرة وسرور
ولازال ظل (النيربين) فانه طويل ويوم المرء فيه قصير
ويا (بردى) لازال ماؤك بارداً وماء الحيا من حافتيك نمير
أبى العيش الا بين اكناف جلق وقد لاح فيها أشمس وبدور

وقال عرقلة أيضاً:

أما دمشق فجنات مزخرفة للطالبين بها الولدان والحورُ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ما صاح فيها على أوتاره قمر إلا وغناه قمري وشحرورُ
يا حبذا ودروع الماء تنسجها أنامل الريح الا أنها زور

وقال :

تؤرّق ورقُ الغوطتين لواحظي ويحل جسمي حب غزلان (جاسم)[1]
أأحبابنا ان كنتم قد عزمتمو على البعد من أطلالكم والمعالم
فلا ترسلوا برقاً الى غير ساهر ولا تبعثوا طيفاً الى غير نائم

وقال :

دمشق حبيت من حي ومن نادي وحبذا حبذا واديك من وادي
يا رائحاً غادياً عرّج على بردى وخلني وحديث الرائح الغادي
كم قد شربت به من ماء دالية في ظل دالية تنبيك عن عاد
في جنب ساقية من كف ساقية كادت تثنى بقد غير ميّاد
لها بعيني اذ ماست معاطفها جمال مياسة في عين مقداد

وقال ابن الدهان الموصلي من قصيدة

نشوى تغنى لها ورق الحمام على أوراقها ويد الأنواء تسقيها
صفالها الشرب فاخضرت أسافلها حتى ضفا الظل وابيضت أعاليها
وصفق النهر والاغصان قد رقصت فنقطته بدُرّ من تراقيها
كأنما رقصها أوهى قلائدها وخانها النظم فانثالت لآليها
واعين الماء قد أجرت سواقيها والأعين النجل قد حارت سواقيها
وقابل الغصن غصن مثله وشدت أقمارها فأجابتها قماريها

ومنها :

سماء دوح ترد الشمس صاغرة عنا وتبدي نجوماً في نواحيها
ترى البدور بها في كل ناحية ممدودة للنجوم الزهر ايديها

(١) جاسم من قرى حوران ينسب إليها ابو تمام الشاعر العظيم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اذا الغصون هززناها لنيل جنىً صارت كواكبها حصباء ارضيها
من كل صفراء مثل الماء يانعة تخالها جمر نار في تلظيها

وقال عين بصل الحراني من قصيدة :

اما ترى الأرض اذ أبكى السحاب بها آذارها ضحكت اذ جاء نيسانُ
والزهر كالزهر حياه الحيا فبدت في الروض منه الى الأبصار ألوان
زمرّد قضب فيها مركبة جواهر ويواقيت ومرجان
كأنما الورد خد الحب حين غدا له العذار سياجاً وهو ريحان
كأن منثورها اذ لاح مبتسماً جيش من الروم بانت منه صلبان
كأنما البان اهدى المسك حين بدا فعطر الكون لما أورق البان
كأن ريح الصبا طافت بخمر هوى من الرياض فكل الكون نشوان
كأنما حمرة التفاح خدّ رشا لي في هواه عن السلوان سلوان
كأن نارنجها نار وباطنه ثلج وفيه لجين وهو عقيان
والطير تُطرب بالعيدان نغمتها ما ليس يطرب بالأوتار عيدان
أبدت فنوناً فأفنت صبر سامعها بالنوح اذ حملتها فيه افنان
بلابل هيجت منا بلابلنا وهاج منا صبابات واشجان

وقال مجد الدين الاربلي يتشوق الى دمشق من قصيدة :

مواطنُ فيها [السهم] سهمي فكلنا نحث مطايا اللهو فيه ونُعنقُ
كلا جانبيه معلم بمجمد من الماء في اطلاله يتدفق
اذا الشمس حلت بينه فهو مذهب وان حجبتها دوحه فهو أزرق
وان فرّج الأوراق جادت بنورها فرَقم[1] أجادته الاكف منمق
أطل عليه قاسيون كأنه غمام معلى او لغام معلق

(١) الرّقم ضرب مخطط من الوشي او الخز او البرود

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تسافر عنه الشمس قبل غروبها وترجف اجلالاً له حين تشرق
وتصفر من قبل الأصيل كأنها محب من البين المشتت مشفق
وفي (النيرب) المرموق للبر سالب من النظر الزاهي وللبر مونق؟
بدائع من صنع القديم ومحدث تأنق فيه المحدث المتأنق
رياض كوشي البرد تزهو بحسنها جداولها والنور بالماء يشرق
فمن نرجس يخشى فراق فريقه ترى الدمع في أجفانه يترقرق
ومن كل ريحان مقيم وزائل تضاعف رياه الرياح فيعبق
كأن قدود السرو فيه موائساً قدود عذارى ميلها يترقرق
اذا ما تداعت للتعانق صدها عيون من النوّر المفتح ترمق
وقصر يكل الطرف عنه كأنه الى النسر نسر في السماء محلق
زها ببديع الوشي حسناً كأنما مدبّج روض في نواحيه ملصق
وكم جدول جار يطارد جدولاً وكم جوسق عال يوازيه جوسق
وكم بركة فيه تضاحك بركة وكم قسطل في الماء للماء يدفق
وكم منزل يغشى العيون كأنما تألق فيه بارق يتألق
وفي (الربوة) الشماء للقلب جاذب وللسمع اصمات وللعين مرمق
فهام بها الوادي ففاضت عيونه فكل قرار منه بالدمع يملق
تكفل من دون الجداول شربها (يزيد) يصفيه لها ويصفق
اذا أشرف الولدان من شرفاتها رأيت بدوراً في بروج تألق
وفي (بردى) مغنى يشوق ومنظر يروق ومأوى للسرور ومطرق
اذا أنت من أعلاه اشرفت ناظراً تجيل عنان الطرف فيه وتطلق
رأيت به بحراً من الدوح مزبداً وغدرانه حيتانه منه ترمق
تميل مع الأفنان فيه كأنها نشاوى وما دار الرحيق المعتق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتعطف اعطاف الغصون حمامة اذا ما تغنت والغدير يصفق
وتجمع فيه كل حسن مفرق وشمل الأسى عن حاضريه مفرق
كأن رياض الغوطتين جنوده يقسم فيها جوده ويفرق

وهكذا اجاد وأطال وذكر المزة وسطرا ومقرا وبيت ابيات وجسرين وتل راهط وبعض شوارع دمشق وجامعها توفي سنة ٦٩٧

وقال ابن الصائغ العروضي (٧٢٢ هـ) يتشوق الى عاصمة الغوطة ايضاً ويذكر أرياضها ورياضها بدأها بقوله :

لي نحو ربعك دائماً ياجلق شوق أكاد به جوىً أتمزق

الى ان قال مخاطباً دمشق :

ولكم أُحدث عنكِ من لاقيته وجميع من سمع الحديث يصدق
والأرض في عرض وطول دائماً لم يحو مثلك غربها والمشرق
لله (وادي النيربين) وظله لا (الرقمتين) و(رامة) و(الأبرق)[1]
وسقى ديار (الصالحية) وابل يهمي على تلك المنازل مغدق
و (السهم) ماافترت ثغور أقاحه الا ودمع سحابه يترقرق
كم فيه من قصر منيف مشرف يبدو به قمر منير مشرق
(وبيت لهيا) لا تعداه الحيا طلل عليه من النضارة رونق
هو منزل آثاره مشهورة ولأهله عهد عليّ وموثق
وحباك يا أطلال (جوبر) واصلا غيث مريع مستهل مشفق
لله مسرحة[2] ذلك الربع الذي قلبي يهيم به وذاك الجوْلق[3]

(١) الابرق في اللغة والبرقاء حجارة ورمل مختلطة وكذلك البرقة وهي عدة اماكن تضاف الى امكنة أخرى . ورامة منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة الى مكة وفيها جاء المثل : تسألني برامتين سلجما . والرقمتان تثنية الرقمة وهو مجتمع الماء في الوادي والرقمتان روضتان احداهما قرية من البصرة والأخرى بنجد .

(٢) السرح شجر عظام اوكل شجر لا شوك فيه او كل شجر طال (القاموس) (٣) الشوك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والوادي الشرقي لا برحت به ديم تسح ووبلها يتدفق
فغياضه ورياضه كعيونه هذا يعوم به وهذا يغرق
ولكم قطعت به زماناً لم أزل أشتاقه ما دمت حياً أُرزق
في سكر (زبدين) الى (جسرين) كم حيا الحيا حيّاً عليه رونق
فالواديان كلاهما الغربي والـــشرقي نزهة من برفق يرمق
أنى اتجهت رأيت دوحاً ماؤه متسلسل يعلو عليه جوسق
و (القصر) و(الشرفان) و(الشقراء) (والميدان) عشقاً للذي لا يعشق
فلكم حوت تلك المنازل صورة فيها الجمال مجمع ومفرق
فمخضب ومؤزر ومعمم ومزنر ومبرقع ومقرطق
كم من غزال بالنفوس متوج وقضيب بان بالعيون ممنطق
والريح تكتب والجداول أسطر خط له نسخ الربيع محقق
والطير يقرأ والنسيم مردد والغصن يرقص والغدير مصفق
ومعاطف الأغصان أثنتها الصبا طرباً فذا عار وهذا مورق
وكأن زهر اللوز أحداق الى الزوار من خلل الغصون تحدق
وكأن أشجار الرياض مرادق في ظلها من كل لون نُمرق[1]
والورد بالألوان يحلو منظراً ونسيمه عطر كمسك يعبق
فبلابل منها تهيج بلابلاً وكذاك أثواب الشقيق تَشقق
وهزاره يصبو الى شحروره ويجاوب القمريّ فيه مطوق
وكأنما في كل عود صادح عود حلا مزمومه والمطلق
والوُرق في الأوراق يشبه شجوها شجوي وأين من الخليّ الموثق
تتلو على الاغصان اخبار الهوى فيكاد ساكن كل شيء ينطق

(١) النمرُق والنمرقة مثلثة الوسادة الصغيرة والنمرقة بالكسر من السحاب ما كان بينه فتوق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن أجمل ما يروى في ادب الغوطة قصيدة عبد المنعم الجلياني الأندلسي شاعر صلاح الدين ، وكان نظم فيه عشرة دواوين قال :

عهود ليلى وما ضمت لياليها ... أهدت جديد صباباتي بواليها
لا تقدحي في ضنا جسمي معاتبة ... فشعل أعضائه الأنفاس توريها
أيام جلق والأهواء مسعدة ... ونضرة العيش تنهيها مباديها
في الغوطة الغبطة الممدود نعمتها ... أرواح جنة عدن في نواحيها
جلنا بأعطافها نرعي نواظرنا ... منادحاً يزع الأوصاب زاهيها
حتى استقلت بنا وخادة رُسم ... مضمرات غليظ قلب حاديها
يفري المهامه مما استصرخت فرَقاً ... أجاب داعيها أو خاب راعيها
بطاويات الفلا ثقلاً حقائبها ... ورامياتُ الدجى خفاً هواديها
كأن من بمطاها في ذرى قزح ... في كفه النسق الثامي بثنيها
اذا وخدن فما تنحاز أرجلها ... وان زملن فما تمتاز أيديها
شتى المطالب جمع في مساربها ... قصوى المنازل دنيا في مساريها
وردن مصر فأبقت من تذكرها ... دمشق ناراً نواريها فنوريها
ويومنا والمنى تعطي أعنتها ... طوع القياد وتجني حب جانيها
والمرج كالعين والأنهار ادمعها ... وظل شجرائها جفن يغشيها
كأنه ثبج[1] يحوي زمردة ... أو طرف زرقاء مكحول مآقيها
للطرف والطرف في ميدانه نزهٌ ... تأتي النفوس له مرضى فيشفيها
تُرخي الضحى والعشايا وسطه عَذَباً ... تعلو الظهيرة فوضاها فتزويها
ونحن نرفل في ثني ملاءته ... مقلصاً ذيلها طوراً ومضفيها
أنسيننا ذات خلخال تجول به ... ولا يجول ويجلوه تثنيها
شق الحياة مزاج الروح جائلة ... في رُوعه فمعانيه معانيها

(١) امالي الامواج

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لو لم يشق حسنها شاقت جبلتها ... قبل التلاقي تلاق في مبانيها
تجر للدّل ذيلاً في ترقبها ... وتشعر الشمس ليلاً في تراقيها
وما نسيت فلا انسى عشيتنا ... (بالنيربين) وقد رقت حواشيها
للآبنوس على الغيطان راصعة ... من الاصيل وعاجًا في روابيها
وساجع غرد في يانع خضل ... ترتج قضبانه أنى يغنيها
وقفت بين سماءين الكواكب من ... فوقي وتحتي نجوم لست أحصيها
من كل زاهرة غضراء باهرة ... تفرق الحسن نهبًا في نواحيها
قد قوّف الناجم النامي أسافلها ... وزخرف الساجم الهامي أعاليها
وأزهرت فبرت حسني ديابجها ... واثمرت فمرت اسنى أياديها
وصافح الكرمة التفاح معتنقًا ... فاحمر نشراً لما تطوي دواليها
والورد خجلان من ضحك البهارله ... والظلّ يغضبها طوراً ويرضيها
والحمل شهب بأفق القضب طالعة ... والياسمين سحاب فوق أرضيها
كم سطرت فيه كف الصنع من حكم ... بقرا بها أثر الابداع قاريها
من نظم مشتبه في جيد مختلف ... يسقى بمتحد شتى مجاريها
السارحون جدام في مناشرها ... والسائحون مدام في مطاويها

* * *

وليلة الربوة الشماء معلمة ... حتى الصباح بروح الذكر نحييها
مأوى ابن مريم في مسرى سياحتها ... قد بوركت بمعانيه مغانيها
تحفها سبعة لو سُد مسربها ... لطم شامخة الآطام طاميها
كأنها الحجر الملقى عصاه به ... موسى ففجر للأسباط جاريها
كأنها درة أضحى (يزيد) لها ... خيطا بلبات آكام تواليها
مَعينة بجبار يلتطمن بها ... مُعينة لخيار أخبتوا فيها

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وصخرة المزة الغراء ناطحة قرن الغزالة في مبدا تجليهـا
محلة السفح ما شيب السفوح بها بل مثل ما روّق الصهباء ساقيها
يغذى بها القلب أنفاساً بلا كدر فلن يحل الوبا أطراف ثاويها
ان الهواء اذا رقت مناسمـه في بلدة لطفت أخلاط أهليها
واذكر ضحى الشرف الاعلى اذا طلعت ذكاء من أفق أشجار تواريهـا
ومنظراً يستبي الألباب رائعه ويشغل النفس عن أشهى أمانيها
يرنو الى بردى ينساب في بَرَد في بُردتي سندس خضر حواشيها
تكسر الماء بلوراً وراكده كالفضة الحوق[1] مصقول عواليها
وحيث شئت فأشجار تمد على ال أنهار ظلاً يغشي من يوافيها
فكل صورة أنس في منازلها وكل نزهة نفس في روابيها
لولا أمور وأرزاق مقدرة لم يرتحل عن دمشق حاضر فيها

وقال في وصف الغوطة امير الشعراء احمد شوقي من المعاصرين من قصيدة :

آمنت بالله واستثنيت جنته دمشق روح وجنات وريحان
قال الرفاق وقد هبت خمائلها الارض دار لها (الفيحاء) بستان
جرى وصفق يلقانا بها (بردى) كما تلقاك دون الخلد رضوان
دخلتها وحواشيها زمردة والشمس فوق لجين الماء عقيان
والحور في (دمر) اوحول (هامتها) حور كواشف عن ساق وولدان
و (ربوة) الواد في جلباب راقصة الساق كاسية والنحر عريان
والطير تصدح من خلف العيون بها وللعيون كما للطير ألحان
وأقلبت بالنبات الأرض مختلفاً أفوافه فهو اصباغ والوان
وقد صفا (بردى) للريح فابتردت لدى ستور حواشيهن افنان
ثم انثنت لم يزل عنها البلال ولا جفت من الماء أذيال وأردان

(١) الحوّق من حاق الشيء يحوقه : دلكه وملسه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

خلفت (لبنان) جنات النعيم وما نُبئت أن طريق الخلد لبنان

سيداتي سادتي

هذا ما امكن التقاطه من ادب الغوطة ومن استقصى اكثر مما استقصيت يسقط على شعر كثير في هذا الباب ربما كان ما كتب لي جناه احط مما يجنيه الباحث اليقظ . وهذا ما عرفته مما يفيد ترداده في الغوطة وخيراتها وحسناتها جعل الله أيامكم كأيام الربيع في الغوطة .

محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net